٤ ـ المؤسسة العسكرية الاسرائيلية

كما ذكرنا سابقاً، ان هذه المؤسسة التي تحظى بما يشبه اجماع الرأي العام الاسرائيلي، بحكم الدور الموكول اليها في اطار الدور الوظيفي للكيان الاسرائيلي بشكل عام، وحسب مفهوم مبدأ «سيادة القوة»، الذي تنتهجه المؤسسة، أصبح للجيش اهمية خاصة، جعلته في مكانة «قدس الاقداس» لدى الاوساط الاسرائيلية المختلفة.

وبناء على هذه الاهمية، فقد حاولت هذه الاوساط تجنيب الجيش اي انتقاد من شأنه ان يمس «سمعته» أو اسطورة «الجيش الذي لا يقهر»؛ كما حاولت تلميع دوره «الاخلاقي» و«الانساني» وفي مجال ما يسمى بـ «طهارة السلاح»، الى غير ذلك من المقولات التضليلية، التي اسقطتها الانتفاضة على أرض الواقع، واظهرت نقيضها على مرأى من العالم أجمع. لذلك، فان كل الآثار التي احدثتها الانتفاضة، وكل ما يتعرّض له الجيش الاسرائيلي وآلته العسكرية الضخمة، لم يعد امراً قابلاً للاحتمال، بالنسبة الى هذه الاوساط التي تضع مصداقية اسرائيل كلها في نطاق قدرة الجيش على اداء الدور الموكول اليه.

ولكن تأثير الانتفاضة ظهر أول ما ظهر على الجيش الاسرائيلي الذي اضطر الى تغيير برامجه وخططه والتوجّه الى ممارسة اعمال القمع والقتل والتدمير في المناطق المحتلة، والانزلاق في «حرب استنزاف جديدة»، كما سماها بعض الاسرائيليين، مجهولة النتائج والمصير: «ان نتائجها ستكون مصيرية لنا بشكل لا يقل عن نتائج حرب الايام الستة وحرب يوم الغفران»، على حد تعبير بعض الضباط الاسرائيليين. ومع ذلك، كتب الصحفي تيدي برويس: «بناء على النتائج، حتى الآن، فإننا لم نجد الصيغة المناسبة لكيفية تحطيم هذا التمرد في المناطق [المحتلة]. ولأن كل اسلوب آخر يبدو مستحيلاً، فمن الضروري التصرف كما تتصرف الجيوش التي تواجه مهمة ليست في مقدورها: اي الانسحاب»(٣١).

وقد تبدّى هذا التأثير في حالة الارتباك الشديد التي سادت في اوساط الجيش في كيفية الرد على الانتفاضة، بعدما استنفدت معظم الوسائل التي في حوزتها. وهنا تهاوت التصورات القائمة على مظاهر المجد وعقدة العظمة، لتحل مكانها تبريرات اكثر واقعية، مثل «الجيش الاسرائيلي لا يواجه، هنا، جيوشاً نظامية. اننا قادرون على التصدي بنجاح وبتحسّن ضئيل نسبياً؛ ولكن الوضع، هنا، مختلف. فالواقع السياسي اوقع الجيش الاسرائيلي في شرك صعب. فمن الواضح ان الجيش الاسرائيلي قادر على فرض النظام في المناطق [المحتلة] بقوة السلاح؛ ولكن هذا يتطلب عدداً كبيراً من القتلى بكل ما يترتب على ذلك من دلالة سلبية، سواء في نظرنا أو في نظر الكثيرين من يهود الشتات. فهذا شرك لا نستطيع ان نكون فيه منتصرين، وما يعتبر انتصاراً لا يمكن ان يدوم»(٣٢)؛ أو كتلك التبريرات التي لم تكن لتظهر لولا صمود الثائرين الفلسطينيين في وجه آلة الحرب الاسرائيلية، وكشفهم لطبيعة هذا الجيش القمعية: «يشعر الجيش الاسرائيلي، اكثر من اي وقت مضى، كيف اصبحت قوّته الكبيرة ضعيفة. فقد وضعت القيود على استخدام الوسائل العادية... وهكذا انجرّ الى اسلوب الضرب. والضرر الاكبر الذي اصاب اسرائيل، في هذا المجال، هو القضم في قدرة الجيش الاسرائيلي الرادعة...»(٣٣).

ويعتقد اسرائيليون كثيرون بأن هذه الحرب ليست موجهة ضد الجيش وحده، وانما ضد الجمهور الاسرائيلي ايضاً. واعتبر زئيف شيف «ان ما يجرى، حالياً، في المناطق [المحتلة]، في